

الدكتور عبدالغني علي الأهنجري (*)

سفارتان بين دولة الأئمة الزيدية ودولتي الطاهريين والمماليك الجراكسة

على عهد الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين الحسنی

تظل السفارات واحدة من أهم مجالات العلاقات المتشابكة بين القوى السياسية مهما تباينت طبيعة هذه العلاقات ما بين السلم والحرب، التحالف والتنافر، التقارب والتخاصم، وتعدّ الوثائق المنقولة بين أطراف السفارات - سواء نقلت شفاهة أو كتابياً - واحداً من أهم مصادر المادة التاريخية الأصلية وأكثرها صدقاً، فكانت تلك الوثائق ليسوا بشهود عيان فحسب، بل هم الأطراف التي صنعت الأحداث التي حُررت الوثائق حولها ومن أجلها، مع افتراضنا وجود مراعاة لاعتبارات المجاملات ومراسم التقرب وألغاف التودد بين الأطراف أثناء صياغتها، فهي تلقي الضوء - من خلال مضامينها الصريحة أو الضمنية - على جوانب مهمة من تاريخ تلك القوى السياسية في فضاءات لا يتطرق المؤرخون - غالباً - إلى تغطيتها، كما أن دراسة السفارات إجمالاً يساعد في تسليط الضوء على جوانب غالباً ما تكون هامشية في ثنايا الحديث عن الجوانب المختلفة للتاريخ، وخاصة بعض حوادث التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والعسكري .

وفي مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي يقل وجود القدر الكافي من نصوص الوثائق السياسية التي قامت بنقلها السفارات بين القوى السياسية اليمنية أو بينها وبين . أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بقسم التاريخ في كلية التربية - جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية .

غيرها من القوى غير اليمينية، ولعل سبب إغفال كثير من المؤرخين اليمينيين لتضمين تلك النصوص في مؤلفاتهم هو نظرهم إليها على أنها من ضروب الاستطراد غير المحمود في تفاصيل الأحداث التي أروخوا لها .

في هذا البحث نقف مع اثنتين من أهم وثائق السفارات التي تضمنتها المصادر التاريخية اليمينية، تم تحريرهما في العقدَيْن الثاني والثالث من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ولم ينقل إلينا نصهما كاملاً إلا واحداً فقط من المؤرخين اليمينيين، هو المؤرخ الحسن ابن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبدالقادر شرف الدين الحسيني (ت ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م)^(١) في كتابه القيم (المواهب السنية) مما من به الله تعالى من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكّلة، وهذا المؤرخ من أحفاد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين، ذلك الإمام الزيدي الذي يعدُّ الطرف الرئيس في هاتين السفارتين، ويبدو أن هذا المؤرخ قد وجد نص الوثيقتين كاملاً ونقلهما، إما لاطلاعه على بعض المصادر الخاصة بالإمام المتوكل شرف الدين نفسه مما لم يطلع عليها غيره من المؤرخين، أو أن محتوى الوثيقتين كان متاحاً لغيره من المؤرخين السابقين غير أنهم لم يُقدِّروا أهمية تضمين النصين كاملين في مصادرهم، واكتفوا بالتطرق إلى ذكر حصول تلكم السفارتين .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الوثيقة الأولى هي الخاصة بالسفارة التي بعثها الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين (ت ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م) - رأس الدولة الزيدية باليمن في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت وجهتها بلاط السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الظاهر (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، أقوى سلاطين الدولة الطاهرية باليمن وأكثرهم قوة ونشاطاً عسكرياً، وتنوع محتواها ما بين الوعظ والتحذير والتهديد، وقد جاءت السفارة في سياق الصراع الدموي الكبير بين الدولتين حول مناطق النفوذ على الساحة اليمينية والذي كانت فيه الكفة راجحة لصالح الدولة الطاهرية .

أما الوثيقة الثانية فقد حملتها السفارة التي بعثها الإمام المتوكل شرف الدين نفسه إلى الأمير حسين الكردي، قائد الحملة التي جردتها دولة المسالك الجراكسة على عهد السلطان قانصوه الغوري (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) لمواجهة النفوذ البرتغالي المتزايد في السواحل الهندية ومياه المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي، الذي مثل بؤرة نزيف كبير للمقدرات الاقتصادية

لدول المنطقة بشكل عام، إضافة إلى كونه تهديداً دينياً لوضعه استهداف الأراضي المقدسة بالحجاز ضمن مخططاته الاستعمارية .

السفارة الثانية في أصلها هي نتيجة طبيعية لفشل السفارة الأولى، فقد كانت الغاية منها الاستنجاد بالحملة المملوكية وطلب النصرة والعون من قائدها إزاء العنت الذي واجهه الإمام الزيدي أمام القوات الطاهرية، ومحاولة منه لإيقاف حملة الإبادة التي قادها السلطان الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب لأفراد الشريحة العلوية الشيعية الزيدية والفاعلة سياسياً وعسكرياً آنذاك .

ومما يزيد من أهمية هاتين السفارتين هي النتائج المترتبة عليهما، فقد تمخضتا عن أحداث كبيرة بلغت حد تحول الحملة المملوكية عن مسارها المرسوم، واقتحام الأراضي اليمنية، والدخول في صراع مسلح دموي مع الدولة الطاهرية، كانت فيه الدائرة على الدولة الطاهرية، قتل في آخر أحداثها السلطان الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري عند أسوار صنعاء، هو وأخيه الأمير عبد الملك بن عبد الوهاب وذلك سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، وهو ما مثل 'نهياراً شبه كامل' للدولة الطاهرية، واستيلاء للقوات المملوكية على مساحة واسعة من أراضي اليمن، ولم يوقف استمرار زحفها على المناطق المتبقية سوى هزيمة الدولة الأم - دولة المماليك الجراكسة في مصر - في موقعة مرج دابق الشهيرة في السنة نفسها، ومقتل السلطان قانصوه الغوري على أيدي القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول .

ويجمل بنا في البداية إيراد إشارة تعريفية - بلا إسهاب ولا إخلال- بالشخصيات الثلاث الأهم، التي مثلت المحاور الرئيسة لهاتين السفارتين، وهذه الشخصيات هي: السلطان الطاهري الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب، والأمير المملوكي حسين الكردي، والإمام الزيدي المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين.

السلطان الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري (٨٩٤-٩٢٣هـ/١٤٨٩-١٥١٧م) :

هو السلطان الظافر الثاني صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن داود الطاهري، الأسوي القرشي نسباً، الشافعي الأشعري مذهباً وعقيدةً، رابع سلاطين الدولة الطاهرية باليمن، وأكثرهم

شُهرةً وَسَطْوَةً وَقُوَّةً وَهَيْبَةً، وَأَطْوَلَهُمْ حِكْمًا، يُشَارُ إِلَى مَدَّةِ حُكْمِهِ بِالْبِنَانِ، وَتَسْتَرَعِي انْتِبَاهَ الْبَاحِثِينَ فِي تَارِيخِ الْيَمَنِ -وَالْمُطَّلِعِينَ عَلَيْهِ- فَيَتَوَقَّفُونَ عِنْدَهَا، فَهِيَ فِي نَظَرِهِمْ جَدِيدَةٌ بِالدراسةِ لِأُمُورٍ عَدَّةٍ، أَهْمُهَا : أَنَّهَا أَطْوَلُ مَدَّةٍ حَكَّمَتْ فِيهَا مَلِكٌ طَاهِرِيٌّ^(١١)، وَلَمَّا عُرِفَ بِهِ هَذَا السُّلْطَانُ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُتَمَيِّزَةِ حِكْمًا وَإِدَارَةً وَعِلْمًا وَعِمْرَانًا^(١٢)، وَكَذَلِكَ لَمَّا تَمَيَّزَ بِهِ عَهْدُهُ مِنْ شِدَّةِ الصَّرَاعِ وَقُوَّةِ احْتِدَامِهِ بَيْنَ الْقُوَى السِّيَاسِيَةِ الدَّاخِلِيَّةِ الْكَثِيرَةِ، كَالصَّرَاعِ فِي إِطَارِ التَّنَافُسِ عَلَى الْعَرْشِ بَيْنَ السُّلْطَانِ نَفْسِهِ وَالْأُمَرَاءِ الطَاهِرِيِّينَ مِنْ أَخْوَالِهِ أَبْنَاءِ السُّلْطَانِ الطَّافِرِ الْأَوَّلِ عَامِرِ بْنِ طَاهِرٍ^(١٣)، وَالصَّرَاعِ الْكَبِيرِ بَيْنَ الدَّوْلَةِ الطَّاهِرِيَّةِ وَالْأَثْمَةَ الزَّيْدِيَّةِ عَلَى مَنَاطِقِ النِّفُوذِ وَالتَّوَسُّعِ^(١٤) - وَإِنْ أُعْطِيَ كُلُّ طَرَفٍ مِنْهُمَا تَأْصِيلًا شَرْعِيًّا يَبْرُرُ صِرَاعَهُ مَعَ الْآخَرِ - وَالصَّرَاعِ الشَّدِيدِ بَيْنَ الْأَثْمَةَ الزَّيْدِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ - مَعَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا - بَعْدَ أَنْ تَعَدَّدَ الدَّاعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْإِمَامَةِ مِنْهُمْ، وَالصَّرَاعِ - شَبِهَ الدَّائِمَ - مَعَ أَغْلَبِ الْقُوَى الْقَبَلِيَّةِ فِي تَهَامَةَ وَيَافِعِ^(١٥) وَبَيْحَانَ^(١٦) وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَنَاطِقِ .

وَمَا يَجْعَلُ مَدَّةَ حُكْمِ السُّلْطَانِ الطَّافِرِ الثَّانِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الطَّاهِرِيِّ مَيِّزَةً عَنْ غَيْرِهَا - أَيْضًا - أَنَّهَا تُعَدُّ مِنْ أخطَرِ الْمَرَاهِلِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا الْيَمَنِ، وَخَاصَّةً الْعَشْرِينَ سَنَةَ الْآخِرَةِ مِنْهَا، فَقَدْ ظَهَرَ عَلَى الْمَسْرَحِ الدَّوْلِيِّ - ثُمَّ الْإِقْلِيمِيِّ - قُوَّةَ يَحْرَمَةَ اسْتِحْصَارِيَّةً عَاتِيَةً - بِمُقْيَاسِ ذَلِكَ الْعَصْرِ - أَلَا وَهِيَ قُوَّةُ الْبَرْتِغَالِيِّينَ الْوَكَاثِلِ الْيَمَنِيِّينَ وَاحِدَةً مِنْ أَكْثَرِ الْأَطْرَافِ تَضَرَّرَ مِنْ هَذَا التَّحْوُلِ الْكَبِيرِ، ذَلِكَ التَّحْوُلِ الَّذِي أَحْدَثَ هَزَّةً عَنيفَةً غَيَّرَتْ مَوَازِينَ الْقُوَى عَلَى مَسْتَوَى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، وَهَذَا التَّحْوُلِ بِدَوْرِهِ أَدَّى إِلَى دُخُولِ الْيَمَنِ فِي صِرَاعٍ مَعَ بَعْضِ الْقُوَى الْخَارِجِيَّةِ، فِي مَقْدَمَتِهَا قُوَّةُ الْمَمَالِكِ الْجِرَاكْسَةِ الْحَاكِمِينَ لِمِصْرَ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ، وَنَتَجَ عَنْهُ - فِي آخِرِ مَرَاهِلِ هَذَا الصَّرَاعِ - الْقَضَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ الطَّافِرِ الثَّانِي؛ وَتَعْرِيزِ الدَّوْلَةِ الطَّاهِرِيَّةِ عَمُومًا إِلَى الْإِنْتِهَابِ .

الأمير حسين الكردي (ت ٩٦٥هـ/١٥٥٧م):

الأمير حسين الكردي هو أحد القواد البارزين في الأسطول البحري المملوكي، أوكلت إليه مهمة القيام بالتصدي للبرتغاليين في الخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي، وخاصة أمام الشواطئ الهندية التي تمثل المصدر الأم لتجارة التوابل، التجارة الأهم والأثمن على مدار قرون طويلة في العصرين القديم والوسيط، بل حتى مشارف العصر الحديث، وقد قاد الأمير حسين الكردي حملتين في هذا الصدد، وتكللت مساعي الحملة الأولى في سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م)

بالنجاح فيما تغير مسار الحملة الثانية عندما توجهت صوب عمق الأراضي اليمنية لتدخل في صراع مرير مع الدولة الطاهرية، والذي أسفر عن تمكن القوة المملوكية من القضاء على معظم قوة الطاهريين وقتل آخر سلاطينهم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب السابق ذكره .

الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين^(٨) (٩١٢هـ-٩٦٥هـ/١٥٠٦م) -
١٥٥٧م):

هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين^(٩) بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسيني العلوي نسباً، الزيدي المعتزلي مذهباً وعقيدةً، حفيد الإمام الزيدي الشهير المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت. ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) الذي أعلن نفسه إماماً عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م إثر وفاة الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين محمد بن علي الحسيني، كما أنه سبط الإمام الزيدي المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي الحسيني (ت. ٨٧٩هـ/١٤٧٤م) .

أعلن المتوكل على الله يحيى شرف الدين إمامته الزيدية في ظرف من أحلك ظروف تاريخها باليمن، فقد تمكن السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري من كسر شوكتها، وقهر قوتها، وتشتيت جموعها، وزرع الإحباط في نفوس قادتها وأتباعها، إذ انتزع منها أعز حصونها وقلاعها وأمتعها، وفرق كثيراً من رجالها ما بين قتيل أو أسير أو هائم على وجهه في البلاد، ولم يبقَ من متصدي الإمامة الزيدية سوى الإمام الناصر الحسن بن عزالدين بن الحسن الحسيني (ت. ٩٢٩هـ/١٥٢٣م)^(١٠)، الذي كان منطوياً على ذاته في أقصى شمال اليمن، ولم يكن بيده من مفاتيح تحريك الأمور ما يجعله يخوض الخطوة الأولى لإقالة العشرة الزيدية أو تحريك ما ركد من مانتها .

لما أعلن الإمام المتوكل شرف الدين إمامته سنة (٩١٢هـ/١٥٠٦م) بعث رسله منطلقاً من حصن الظفير^(١١) طالباً البيعة من خاصة الزيدية وعامتها^(١٢)، ولم تكن الاستجابة له كبيرة في بداية أمره نظراً للسطوة التي كانت للدولة الطاهرية وشدتها في التعامل مع العناصر الزيدية ومن تعاون معها، إضافةً إلى أنه لم يكن قد عُرف لديهم كشخصية يعلق عليها الآمال في إحداث الفرق في الوضع القائم يومئذ .

كانت السنوات التالية لإعلان إمامة المتوكل يحيى شرف الدين تشهد بلوغ القوات الطاهرية إلى ما لم تكن قد وصلت إليه من المناطق في عمق الرقعة الجغرافية الزيدية بشمال صنعاء وغربها، كدخولها حصن ثلا وقلعة كوكبان سنة (٩١٧هـ/١٥١١م) مع حصنين آخرين بجوارهما، وفي سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) أرسل السلطان الظافر الثاني عامر نائباً عنه إلى صعدة مشغوفاً بحامية صغيرة، غير أنه فشل في بلوغ مرآمه، ثم وضع يده على مناطق أخرى إضافية لتبلغ الدولة الطاهرية عندئذٍ أقصى امتداد لها على الأرض اليمنية .

كانت الأساطيل البرتغالية في هذه الأثناء قد رفعت من وتيرة نشاطها العدواني على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي بما لا يسع القوى المتضررة السكوت عليه، وكانت مصر المملوكية هي المتضرر الأكبر؛ لذلك أرسلت حملتين بحريتين لمواجهة البرتغاليين، انطلقت الحملة الثانية منهما سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) ورسّت في جزيرة كمران، وقد رأى الإمام المتوكل شرف الدين في وجود هذه القوة فرصة لكسب موقفها وتوظيفه في دعم جهوده في مواجهة الطاهريين، لذلك قام بمراسلة أمير الحملة، الأمير حسين الكردي، شاكياً إليه السلطان الظافر الثاني، معدداً مظاهر اضطهاده لآل البيت النبوي ومساوئ حكمه، ومطالباً بإياه بالنصرة^(١٣)، وكان الأمير حسين الكردي في حاجة إلى استجلاء موقف السلطان الظافر الثاني من حملته، فلما بلغه موقفه المتخاذل منها، واستعداده لمواجهتها بدلاً عن دعمها وتوفير كل أشكال التعاون معها، رد على الإمام المتوكل شرف الدين بما يؤكد دعمه له.

ولما وقع الصراع بين الحملة المملوكية وبين الدولة الطاهرية سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وتحققت الهزيمة الكبيرة للطاهريين في السنة التالية، ومقتل السلطان الطاهري في هذا الصراع، وسيطرة الماليك على كثير من المناطق اليمنية بما فيها صنعاء، كان موقف الإمام المتوكل شرف الدين سلبياً من الطرفين، وذلك في انتظار ما سيسفر عنه الصراع الدائر، ولكنه أحس بأن الماليك عازمون على مواصلة التوسع في اليمن، وهو ما دعاه إلى رفض هذا التوجه والقيام بأولى خطوات الصدام معهم بدخوله حصن ثلا في السنة ذاتها (٩٢٣هـ/١٥١٧م)؛ فضرب عليه الماليك حصاراً لم يرفعه إلا عندما بلغهم خبر مقتل سلطانهم قانصوه الغوري ثم سقوط دولتهم على أيدي الجيوش العثمانية^(١٤).

الخلفية الفكرية والسياسية للصراع في اليمن عصرئذ :

من المعروف أن الزيدية هي أحد فرقتي الشيعة الرئسيتين^(١١١)، والحضور التاريخي الحقيقي للزيدية في اليمن - من الناحية الفكرية والفقهية - قديم، تعود بداياته الأولى إلى أواخر القرن الثالث الهجري ، ومن أهم أركان الفكر الشيعي الزيدي القول بالإمامة، فقد تضمنت رسائل المؤسسين والمنظرين للفكر السياسي والعقائدي الزيدي الأوائل إشارات صريحة بأن الإمامة أصل من أصول الدين التي لا يصح إسلام المرء بدونها، ومفهوم الإمامة في الفكر السياسي الزيدي يمكن إجماله في حصر أحقية الفاطميين من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب في الحكم دون غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية، وقد زال إحساس العلويين بكونهم ضيوفاً على اليمن منذ السنوات الأولى لوصولهم إليها، إذ اتخذوا من أتباع الفكر الزيدي وحمّليّته ركيزة للتوسع السياسي على حساب القوى اليمنية الأخرى، واستمر هذا الفكر وقوداً لمعظم أوجه الصراع الدموي بين اليمنيين من أتباع الفرقة الزيدية وغيرهم طوال فترات تاريخ اليمن حتى مطلع التاريخ المعاصر .

كان العامل الفكري هذا مُدْكِباً إضافياً لمسببات الصراع الأخرى - الجغرافية والقَبَلِيَّة والاقتصادية - التي كانت تدفع اليمنيين للاشتباك مع بعضهم منذ مراحل ما قبل اعتناقهم جميعاً للدين الإسلامي، ومن ضمن الدوافع الفكرية العقائدية أيضاً التي أسهمت - دائماً - في إذكاء الصراع بين اليمنيين اتهام الأئمة الزيدية وعلماؤها لبقية اليمنيين بأنهم يقولون بعقيدة الجبر، وبالتالي وجب جهادهم وقتالهم، أو دفعهم - على الأقل - عن المساحات الجغرافية التي يقطنها أتباع الفرقة الزيدية، وقد اتضح ذلك بجلاء في مراسلاتهم الثنائية الأدبية، الشعرية والنثرية، منها تلك القصيدة التي نظمها - في المدة ذاتها- الإمام الزيدي المنصور بالله محمد بن علي الوُثَلِي السراجي (ت ٩١٠هـ/١٥٠٤م)^(١١٢) يهدد فيها السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الظاهري (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م) في غمرة صراعهما على صنعاء، فقال الإمام الوُثَلِي:

عَدِمْنَا حَيَلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَيْدِينَا نَعَامُ
وَتَجَزِينُكُمْ بِفِعْلِكُمْ قَدِيمًا جَزَاءُ لَا حَفَاءَ وَلَا انكِتَامُ
سَيَهْرَمُ جَمْعُكُمْ يَوْمَ التَّلَاحِي وَلَا يُغْنِي عَنِ الْقَتْلِ انْهَرَامُ

وَلَكِنَّا سَنَقْتُلُ مَنْ أَرَدْنَا وَنَأْسِرُ مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضَامُ
 وَنُشْرِقُ أَرْضَنَا بِالْعَدْلِ^(١١٧) وَيُنْفَى الظُّلْمُ إِذْ حَصَلَ الْمَرَامُ
 وَنَحْمَدُ رَبَّنَا وَنَقُولُ بُعْدًا لِأَهْلِ الظُّلْمِ إِذْ حَصَلَ الْمَرَامُ
 كَمَا بَعَدَتْ ثُمُوذُ وَقَوْمُ عَادٍ وَأَهْلِ الْأَيْكَةِ الْقَوْمِ اللَّئَامِ^(١١٨)

ومنه كذلك تحريضه واستنفاذه لإمامين زيديين معاصرين له كان أحدهما يحكم منطقة صعدة وما حولها - هو الإمام الهادي عزالدين بن الحسن (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م)، بينما تمركز الآخر في صنعاء - وهو الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد (ت ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) - لكي يقوموا بصدا السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري، وجعل مدخله لاستشارة حفيظتهما التركيز على (الجبرية) باعتبارها معتقداً يقول به السلطان، من وجهة نظره، وهي في حد ذاتها لدى الزيدية مسوغ كاف لقتاله، وسبب مقنع لحرية، وخاصة إذا ما كان قد أصبح خطراً محدقاً بالمذهب الزيدي نفسه ومهدداً إياه بالإزالة، ولذلك قال الإمام المنصور الوشلي في تحريضهما :

وَصَنَعَا الْمَدِينَةَ فِي بِلَادِهِمْ أَجَاطَ بِسُورِهَا الْقَوْمَ الطُّغَامُ
 ذُو الْجَبْرِ الَّذِينَ لَهُمْ قِتَالُ يَلَازِمُهُ الشَّاعَةُ وَالْمَلَامُ
 إِلَى الْبَارِي أَضَافُوا كُلِّ فِعْلٍ فَبِيحٍ لَا حَيَاءَ وَلَا احْتِشَامُ^(١١٩)
 وَأَنْ زَعَيْنَهُمْ رَجُلٌ عَشُومٌ عَلَى صَنَعَاءَ نَبِيئُهُ الْمَقَامُ^(١٢٠)

وقال أيضاً في السياق نفسه :

فَبِنَا مَلِكِي صَنَعَا وَصَعْدَةَ أَنْتَمَا لِفُلُكِي نَجَاءَ فِي بِحَارٍ تَغْرَقُ
 وَبِنَا مَلِكِي آلِ الرُّسُولِ تَذَارِكَا هَدَى كَمَا فِي بَحْرِ الضَّلَالَةِ بَغْرَقُ
 هُوَ الْمَذْهَبُ الزُّيْدِيُّ مَذْهَبُ جَدِّكُمْ يَطْلَعْتِهِ نُورُ الْهَدَايَةِ يَبْرُقُ
 فَخَاصُوا عَلَيْهِ بِالصُّوَارِمِ وَالْقَنَا وَأَرَوُّوا ظَنَاهَا مِنْ دَمِ الْقَوْمِ يُشْرِقُ^(١٢١)

وفيما يتعلق بالمدة التي نتناولها في هذا البحث أضيف عاملان آخران إلى قائمة العوامل السابقة، زادا من حدة الصراع بين الدولة الطاهرية والأئمة الزيدية، أما العامل الأول فهو رغبة السلاطين الطاهريين في الأخذ بالثأر من الأئمة الزيدية الذين قامت قواتهم بقتل السلطان الطاهري المؤسس الظاهر الأول عامر بن طاهر سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٦م)، وأما العامل الثاني فهو اجترار الطرفين للماضي المتمثل في استحضار عقدة الصراع الجاهلي بين الأمويين الهاشميين في مكة إضافة إلى ما وقع ضمن أحداث الفتنة الكبرى وفي مدة حكم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، إذ أن السلاطين الطاهريين كلهم ينتسبون إلى بني أمية في حين أن الأئمة الزيدية جميعاً من بني هاشم .

ويقتضي الإنصاف أن نذكر أن اليمانيين من غير أتباع الفرقة الزيدية - من جانبهم - قد بادلوا الزيديين نظرة عدم الرضا يمثلها، فقد نظروا إلى الزيدية على أنها إحدى الفرق الضالة، أو على الأقل المبتدعة^(١١)، وذلك لعدد من الاعتبارات الفكرية العقائدية والاختلافات الفقهية المذهبية، إذ أن بعض كبار علماء الزيدية وأئمتها قد خاضوا في مسألة الصحبة والصحابة وقدموا في بعض أعمالهم، إضافة إلى تبني الزيدية للعقيدة الاعتزالية بينما كان بقية اليمانيين متبنين إما للعقيدة السلفية الحنبلية أو الأشعرية، وكلاهما خصمان تاريخيان للمعتزلة؛ فانعكس ذلك على موقفهم السياسي من الإمامة الزيدية نفسها، وكان موقفهم متساماً بدعوىة الرفض وعدم القبول، وقد غدّت هذه القناعة أفراد الجيوش التي قادها السلاطين - والطاهريين منهم - في صراعهم مع القوة الزيدية، ومن المعروف بدهاء أن أشرس المعارك هي تلك التي تدور بين طرفين كلاهما يزعم أنه يقاتل باسم الله تعالى وجهاداً في سبيله .

السفارة الأولى : أرسلها الإمام شرف الدين إلى السلطان الظاهر الثاني عامر الطاهري :

هناك أهمية كبيرة لمعرفة المناسبة التي تم بعث هذه السفارة في أحوالها، وقد سبقت الإشارة إلى أن الزيدية قد واجهت ظروفًا قاسية لم تمر بمثلها طوال تاريخ وجودها في اليمن، إذ تمكن السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب من كسر شوكتها، وقهر قوتها، وتشثيت جموعها، فزرع الإحباط في نفوس قادتها وأتباعها، وذلك لأنه حقق ضدها انتصارات كبيرة جداً، تمكن على إثرها من انتزاع أعز حصونها وأمنع قلاعها، ومد نفوذه إلى معظم الرقعة الجغرافية التي مثلت عمقاً لدولة الأئمة الزيدية، وفرق كثيراً من رجالها ما بين قتيلاً أو أسيراً أو هانماً على

وجهه في البلاد، ولما فشل الإمام المتوكل شرف الدين في استعادة - ولو بعض - ما فقدته الدولة الزيدية، قام بتحرير هذه الوثيقة وبعثها إلى السلطان الطاهري المذكور وذلك في سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م).

تعليق على وثيقة السفارة الأولى :

تعد وثيقة هذه السفارة - مقارنة مع غيرها من الوثائق السياسية التي تضمنتها المصادر التاريخية اليمنية - هي الوثيقة السياسية الأطول، والأكثر تفصيلاً في موضوعها، ويمكننا أن نجل أهم ملامح هذه الوثيقة في النقاط الآتية:

(١) تعد هذه الوثيقة واحدة من وثائق الفكر السياسي الزيدي المهمة؛ ذلك لأنها تضمنت تمسكاً بفكر الإمامة الذي أرسى دعائمه قداماً من نظري الزيدية ومؤسس دولتها في اليمن، وفي الوقت نفسه ألمحت بشكل واضح إلى قبول الزيدية - ممثلين بإمامهم يحيى شرف الدين - التفاوض حول حلول وسطى يمكن القبول بها في غمرة حالة الضعف التي أصابت الزيدية تحت وطأة السطوة الطاهرية، وهي نغمة لم تُؤثّر عن غيرها من الأئمة الزيديين السابقين .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(٢) في ثنايا المحتوى الفكري لهذه الوثيقة ثمة موضوع مناسب لدراسته من قِبَل المتخصصين في الفكر السياسي والسياسة الشرعية، لعلمهم يجدون فيها دليلٌ مجدّدٌ تقدميٌّ اضطراري في فكر الإمامة عند الزيدية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، خاصة أنها صادرة عن واحد من أشهر أئمة الزيدية باليمن على الإطلاق.

(٣) استخدم الإمام شرف الدين في كتابة هذه الوثيقة أسلوباً هو أقرب لطريقة الوعظ الديني والترويج الفكري منه للخطاب السياسي، لذلك ضمنها عدداً كبيراً من الآيات القرآنية الداعمة لوجهته الفكرية وقناعته السياسية، بلغ عددها ستة وعشرين آية قرآنية، معللاً ذلك بقوله: "... بل ندعوكم إلى تأمل آيات القرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ ولهذا استكثرتنا في رسالتنا من آيات القرآن للقطع بحفظه من الخلل والزيادة والنقصان، ولم نستكثر من إيراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى أولاد فاطمة البتول وسلم؛ لقلة المتواتر منه والمتلقى بالقبول، واحتياج الأحاديث منه إلى معرفة الرجال العدول، والمعروف منهم والمجهول، الذي لا يخبط فيه إلا العلماء الفحول ... " (١٣١) .

(٤) قام محرر الرسالة بتكرار التذكير بشواهد التقارب بين المذهب الزيدي والمذاهب السنية الأخرى الشافعية والحنفية والمالكية، ناصحاً السلطان الطاهري الظافر الثاني بمراجعة أقوال العلماء المتقدمين من علماء المذاهب المشار إليها، والدالة على التزامهم الولاء والمودة لآل البيت النبوي، يتضح ذلك في مثل الفقرة التي يقول فيها: " وإذا كنت من أهل التقليد، لمن لم يعرف حكم الشرائع المفيد، فإن عليك فرضاً واجباً، وحتماً لازماً، وهو التزام من تركن على فضله ووعده، وعدم طمعه في الدنيا وزهله، أن يتلو عليك نصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية، إذ لم يكونوا ليميلوا عن علماء أهل البيت الطاهرين ... " (٢٤) إلى أن قال: "... فلا تظن أن بين المذهب الزيدي وبين مذاهب الفقهاء الأقدمين عداوة، وكلٌ منهم يصوب الآخر في اجتهاده، ولا يخطئه في مذهبه واعتقاده، وإنما فرق بينهم علماء السوء المتأخرون ... " (٢٥).

(٥) تضمنت هذه الوثيقة معلومات تاريخية لم تُشر إليها أي من المصادر التاريخية اليمينية المعروفة والمتداولة إطلاقاً، وهي الإشارة إلى أن بعضاً من أقارب الإمام يحيى شرف الدين قد انضم إلى البلاط الطاهري، منابذاً قومه وأهل مذهبه، ومتخذاً منهم موقف الضد السياسي، ولعله كان يلعب دور الدليل والمستشار للسلطان الطاهري الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب في حربه ضد الزيدية وأئمتها، وأشارت الوثيقة إلى أنه كان متولياً لبعض المهام لدى الإمام شرف الدين ثم حدث ما جعله ينقم عليه فاتخذ جانب الطاهريين وأخذ في تحريضهم ضده، تقول الوثيقة: "... وكأني بمن عندك من أهل مذهبنَا - بل من بعض قرابتنا - يقول: لقد فعلت هذا الوجه بمن هو عنده، وذلك قول غير صحيح، صادر من غير نصيح، فإنه يعلم - وأنت تعلم - أنك غير فاعل لذلك، لأحد من أهل الممالك، ولعلك تعلم - ونحن نعلم - بما تقمنا على المشار إليه، عدم صلاحه لما عوّل فيه عليه ... " (٢٦).

(٦) تصوّر محرر الوثيقة ما يمكن أن تكون حُججاً للسلطان الطاهري في هجومه الكاسح على الزيدية، فكان يفترضها ثم يقوم بالرد عليها، وهي من أساليب المعتزلة الفلاسفة، والمتضلعين بعلوم المنطق وطرائق الجدل، لذلك نجد تكراراً لعبارات أمثال قوله: فإن قلت ... فلماذا لم ...

(٧) من ملامح البناء اللغوي في هذه الوثيقة حفاظ محررها على ما كان متعارفاً عليه من الإكثار من المحسنات البديعية كالسجع وغيره، واستخدامه التناص واستعارة الألفاظ المشهورة المتداولة، كان أكثر استعارته من ألفاظ الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية.

(٨) عندما أراكم محرر الرسالة الاستشهاد بموقف الإمام أبي حنيفة النعمان المؤيد - أو على الأقل المتعاطف - مع ثورة العلويين الزيديين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة (145هـ/762م)، وقع في خلط بين الزعيمين العلويين الشقيقين: إبراهيم بن عبدالله الثائر في البصرة بالعراق^(٢٧١) وبين أخيه يحيى بن عبدالله الذي أعلن ثورته بعد وفاة الإمام أبي حنيفة النعمان^(٢٧٢)، وهو خطأ تاريخي واضح، إذ يقول: "... وقد كان من تلامذة زيد بن علي عليه السلام أبو حنيفة، ونال بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله ما هو معروف في السير، وكذلك نال الشافعي رحمه الله بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله إلى حد الضرب بالسياط، ..."^(٢٧٣)، ولعله غاب عن محرر الرسالة أن البعد الزمني بين وفاة الإمامين الشافعي وأبي حنيفة النعمان قريباً من مائة سنة، فكيف يقفان سوياً موقف الموالاته من العلوي الثائر يحيى بن عبدالله؟! .

(٩) لم تتضمن هذه الوثيقة أية إشارة إلى كون كاتبها هو أحد رجال حاشية الإمام المتوكل يحيى شرف الدين أم هو نفسه، وهو ما أرجحه، فهو معروف بعلمه الواسع ومعرفته التامة باللغة العربية وآدابها، وكفاه لمعرفة مدى عمق علمه الالتفات إلى أنه بوع بالإمامة الزيدية التي تشترط بلوغ درجة الاجتهاد في متصدي إمامتها، كما لم تتضمن هذه الوثيقة - من جهة أخرى - اسم السفير الذي قام بإيصالها إلى السلطان الظاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب .

السفارة الثانية: أرسلها الإمام المتوكل شرف الدين إلى الأمير حسين الكردي:

كانت الأساطيل البرتغالية في مطلع القرن الهجري العاشر/السادس عشر الميلادي قد رفعت من وتيرة نشاطها العدوانية على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي وامتداداته حتى توقفت الحركة التجارية فيه بشكل كامل - أو كادت- ولم تكن اليمن ومصر والقوى السياسية والعسكرية الفاعلة فيهما بمنأى عن الأحداث الدائرة في المحيط الهندي لما له من أهمية قصوى بالنسبة إليهما^(٢٧٤)، وكان لموقع اليمن الجغرافي المتوسط بين المجالين الحيويين للماليك من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى دوره في إجبار اليمانيين على التأثير والتأثر بمحمل ما يدور في المنطقة حتى لو افترضنا - جديلاً - وجود الرغبة لديهم في السكون وعدم الولوج في حلبة الصراع، إذ أنه من المستحيل أن يقوم الماليك بأي نشاط عسكري مضاد للبرتغاليين في المحيط الهندي والبحر الأحمر دون الدعم المادي والمعنوي للسلطات القائمة في اليمن، كما أن الاستحالة قائمة في وجه البرتغاليين إذا ما عزموا على سد البوابة الجنوبية للبحر الأحمر في وجه التجار المصريين والشاميين

وبعض الأفارقة، وكذلك الوصول إلى تحقيق الشق الصليبي من أهداف حملاتهم ببلوغ الأراضي المقدسة بالحجاز، الاستحالة قائمة في وجههم إذا لم يؤكدوا سيطرتهم على الموانئ البينية المهمة وجزرها الكبيرة سواءً في البحرين العربي أو الأحمر، أي : إن اليمن كانت نقطة الارتكاز الجغرافية في أحداث هذه المرحلة من تاريخ المنطقة .

ومن الواضح بجلاء أنه لم يكن هناك ثمة مظامع مملوكية في اليمن، سواءً قبل هذه المرحلة المصرية من تاريخ المنطقة أو قبلها، وكان هذا الأمر - من خلال اضطراد المسيرة التاريخية للعلاقات الودية القائمة بين القوى والدول الحاكمة في المنطقتين - راسخاً لدى الجميع، فلم تشهد مؤشرات لانعدام الثقة أو حلول الشك على هذه العلاقات، وهو ما تعكسه الهدايا المتبادلة بين العروش الحاكمة، وما استغاثه الطاهرين بالسلطان قانصوة الغوري ضد القرصنة البرتغالية ثم الموقف المُشرف لحاكم عدن - مرجان الظافري - من الحملة المملوكية الأولى التي قادها الأمير حسين الكردي إلى الهند سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م)^(٣٣١) إلا أدلة إضافية على صفاء العلاقات الثنائية بين الطرفين الطاهري والمملوكي عصرئذ .

بيد أن سوء الفهم الذي صاحب مسير الحملة المملوكية الثانية سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) يُعد استثناءً في علاقة اليمن بمصر سياسياً، فقد وصلت الحملة المكونة من حوالي عشرين سفينة - محملة بما يقرب من ستة آلاف جندي معهم كثير من مؤنهم الحربية والحياتية اللازمة - إلى جزيرة كَمْران، " وكان هدفها النهائي هو الهند وتأمين التحصينات العسكرية في البحر الأحمر وطرق الهند ضد الأسطول البرتغالي، وخوفاً من معاودة البرتغاليين الهجوم على البحر الأحمر وجدة على شاكلة ما فعلوا عام (٩١٩هـ / ١٥١٣م) "^(٣٣٢) .

ما أن سمع الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين بنزول الحملة في جزيرة كمران حتى حاول استمالة أميرها - حسين الكردي - وإقحامه في الصراع الدائر بينه وبين السلطان الظافر الثاني عامر الطاهري، فأرسل إليه السفارة التي تناولها هنا^(٣٣٣)، وقد أرجأ الأمير الكردي الرد عليه لأنه لم يضع في حساباته أن يُخْرِج الحملة عما جُرِّدَتْ من أجله، ولعله لم يؤجل الرد عليه إلا تحسباً للظنون التي تمكن الإمام شرف الدين من إثارتها عنده بخصوص السلطان الطاهري^(٣٣٤) .

بعث الأمير حسين الكردي رسالته الثانية إلى السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب - مشفوعةً بهدايا جلييلة من السلطان الغوري - يستعجله في إرسال ما يحتاجه جند الحملة من الزاد

وغيره، فاستشار السلطان بطانته فاختلّفوا ما بين مؤيد ومعارضٍ، وكانت حجة المعارضين أن دعوى خروج الحملة إلى الهند وجهاد البرتغاليين ما هي إلا ستارٌ لبسط النفوذ على اليمن^(٣٦)، وأن هذه المساعدة إذا ما بُذلت فإنها ستصبح حقاً مكتسباً يصعب رفض بذلها لاحقاً، وقد مال السلطان الظافر الثاني إلى هذا الرأي، فأغلظ الرد لمبعوثي الأمير الكردي، وأرسل إلى ابنه عبدالوهاب - حاكم زيد - بمنع السفن من التوجه في البحر الأحمر نحو الشمال^(٣٧)، قاصداً بذلك حرمان الحملة من مصادر غذائها، فصدقت الظنون التي كان الإمام شرف الدين قد أثارها لدى الأمير حسين الكردي، فرد عليه رداً يعرب له عن تضامنه معه .

في مثل هذا الوضع أصبح استمرار الحملة المملوكية في مواصلة طريقها بالغ الصعوبة، خاصةً أن المسافة المتبقية بينها وبين وجهتها النهائية ما زالت بعيدة جداً، وأنها إذا كانت غير قادرة على الحصول على ما يكفيها من المؤن وهي ما زالت في النطاق الحيوي لها فإنها ستكون أعجز في مواجهة قوة عظمى بحجم البرتغاليين وإمكاناتهم، ولعل الأمير حسين الكردي رأى في موقف الظاهريين هذا عمالةً للبرتغاليين ووقوفاً إلى صفهم، فوجد نفسه مضطراً إلى معاقبتهم، ولما كنا على علم بمدى قوة شخصية السلطان قانصوه الغوري فإننا ندرك أن تغيير مسار الحملة - كما ستراه - كان عن مشورة منعة وليس من محض اجتهاد شخصي من قائد الحملة .

تحولت الحملة بقوامها كاملاً إلى السواحل اليمنية، وتقاطرت القوى المعارضة للحكم الظاهري، من القبائل وغيرهم، إلى الأمير حسين الكردي باذلين له المساعدة والعون، مقدمين أنفسهم جنوداً في حملته، فصعّب ذلك الأمر على الظاهريين^(٣٨)، الذين انهزموا أمام المماليك في أول اختبار لهم معهم، ف وقعت زيد تحت السيطرة المملوكية سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وسقط الأمير عبدالوهاب بن السلطان الظافر الثاني جريحاً ليموت بعدها بأيام في تعز، وكان لبنادق المماليك الحديثة التي لم يعهدها اليمنيون دور الفصل في هذه المعارك^(٣٩)، وتتابعت هزائم الظاهريين أما المماليك، بما فيهم السلطان الظافر الثاني نفسه الذي خسر أول معركة يقودها أمامهم سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) في منطقة الترتينة^(٤٠)، فانسحب إلى مدينة تعز، ثم غادرها إلى إب أمام زحفهم، فأقاموا الخطبة للسلطان الغوري على منابرها^(٤١) .

واصلت القوات المملوكية تقدمها حتى دخلت المقرانة - مركز الحكم الظاهري، وتقهقر السلطان الظافر عامر الثاني حتى وقعت بين الطرفين المعركة الفاصلة عند أسوار صنعاء في ربيع الآخر من

سنة ٩٢٣هـ الموافق مايو ١٥١٧م، وانجالت المعركة عن مقتل السلطان الطاهري وأخيه عبدالملك^(١١)، وبذلك استحكمت قبضة المالك على أهم المناطق في اليمن، في تهامة والجبال، ولم تستعص عليهم من المناطق التي قصدوها سوى عدن .

تعليق على وثيقة السفارة الثانية :

اختلفت وثيقة هذه السفارة عن وثيقة السفارة الأولى من نواح عدة، منها أن هذه الوثيقة تضمنت التصريح باسم السفير الذي تصدر للسفارة وحمل الرسالة بيده من المرسل إلى المرسل إليه، فهو الفقيه العالم العامل صلاح الدين بقية المجاهدين- كما وصفته الوثيقة - صلاح بن سراج الله، وما يؤسف له أن مصادر تراجم علماء اليمن التي صنفها مؤرخو الزيدية أو خصومهم لم تتضمن ترجمة لهذا الفقيه، ومن جانب آخر اختلفت هذه الوثيقة عن سابقتها بأنها صرحت بأن ما تم تدوينه في متن الرسالة ليس كل ما أراد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين تحريره فيها، وأن السفير مفوض في تبين ما لم يتسع مقام كتابة الرسالة له، فقد قال الإمام شرف الدين في آخر عباراتها : " ... والفقيه الصالح صلاح يحقق لكم ما لا يتسع له الكتاب، ولا يقوم به إلا المشافهة والخطاب، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وسلم^(١٢) بينما نجد وثيقة السفارة الأولى لا تصرح بفتح الباب أمام السفير لإضافة شيء إلى ما تم التطرق إليه من الحجج فيها، وآخر وجوه الاختلاف بين السفارتين أن الأولى كانت بين قوتين يمينيتين في حين أن أحد طرفي الثانية كانت قوة إقليمية غير يمنية .

من ناحية أخرى نجد عدداً من أوجه التشابه في البناء اللغوي لوثقتي السفارتين ومحتواهما الدلالي، فمُخَرَّر كلا الوثيقتين قد حافظ على قدر كبير من زخرفة اللفاظهما بالسجع وأخواته من المحسنات البديعية الأخرى، وذلك ما يدعونا إلى ترجيح أن كاتب الوثيقتين هو الشخص نفسه، وربما يكون الإمام المتوكل يحيى شرف الدين شخصياً، كما أن وثيقة السفارة الثانية أكدت على المعلومات التاريخية التي تضمنتها وثيقة السفارة الأولى عن وجود أحد أقارب الإمام شرف الدين من الزيدية العلويين بين صفوف الطاهريين، بعضهم وينصرهم على أهل مذهبه، وهي المعلومة التي لم تتضمنها المصادر التاريخية اليمنية، تقول الوثيقة الثانية : " ... وأعاناه على ذلك رجل منا أهل البيت، ادعى ما ليس له بحق، فأنكر عليه الإمام الوشلي، فلم يزل صاحبنا يعضد هذا الطاغية، وينصر فرقته الباغية، حتى تمكن من الإمام الوشلي محمد بن علي...^(١٣) .

هناك مجموعة من النقاط المهمة الجديرة بالإبراز في ثنايا ملامح وثيقة السفارة الثانية، يمكننا التطرق إلى أهمها في النقاط الآتية:

(١) مع أن الخلفية الفكرية العقائدية والمذهبية التي يدين بها حكام الدولة الظاهرية بمن فيهم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب هي نفسها الخلفية العقائدية والمذهبية التي يدين بها الماليك الجراكسة بمن فيهم الأمير حسين الكردي ، التي سبقت الإشارة إلى أنهما من دوافع الصراع بين الزيدية وغيرهم من أبناء اليمن ، إلا أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين لم يجد بأساً في الاستعانة بالأخير ضد الأول ، وهو ما يعزز القناعة بأن القوى اليمنية وظفت الحلافات الفكرية والمذهبية في صراعها مع بعضها كونها حافزاً كبيراً لأفراد جيوشها للإنخراط في صراع تلك القوى على المصالح السياسية والاقتصادية بحماسة كبيرة ، فقد كان الظاهريون - حكاماً ومحكومين - شافعيي المذهب أشعري العقيدة ، وذلك بالضبط ما ينطبق على الأمير حسين الكردي ورؤسائه ومرؤوسيه .

(٢) ألمحت هذه الوثيقة بشكل شبه صريح إلى النسب الأموي للظاهرين وسلطانهم الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب ، وهو ما غاب تماماً في ثنايا وثيقة السفارة الأولى ، تقول الوثيقة في معرض مدحها للأمير حسين الكردي : " ... أمير الأحرار - الإسلامية ، مفرج كرب العترة الظاهرة الزكية ، الناقم بثأر الحسين من الفرقة الغوية ، الظالمة العامرية ، المتحلي من أجل ذلك بكل زين ، المتخلي عن كل شين ، الوافي بحقوق سيد الشهداء الحسين ، الأمير الجليل النبيل حسين ، حياه الله من السلام بأستناه ، ومن الإكرام بأزكاه وأحسانه ... " (٤٤) ، وفي ذلك قرينة واضحة تدل على أن إرث الماضي السحيق من الفتنة الكبرى والصراع بين معاوية بن أبي سفيان والإمام علي بن أبي طالب وما تلاه إبان الحكم الأموي كان ماثلاً بين عيني الإمام يحيى شرف الدين ومستحضراً إياه في صراعه مع الظاهريين .

(٣) ربما يتبادر إلى الذهن أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين لم يتطرق إلى التلميح إلى ما جرى للحسين بن علي على أيدي الأمويين إلا ليستجيش عاطفة الأمير حسين الكردي كونه يحمل الاسم نفسه ولِيحمله على التعاطف مع الزيدية المنتسبين إلى حفيد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما .

(٤) استطاع الإمام المتوكل يحيى شرف الدين في رسالته أن يوجز بعبارة غير مخلة ما أوقعه السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب في رجال الزيدية وقادتها ، وذلك من مهارته اللغوية ومعرفته القوية بها ، إذ يقول في ذلك : " ... بأننا لم نزل إلى الله مبتهلين ، ولما لديه من الفرج منتظرين ، وبالتجرد لما بدت من عدو الله الجائر عامر ، والقيام بالدعاء إلى دفاعه وجهاده امتثالاً لأوامر الله الملك القادر ، ولكن منع من ذلك عدم المعين والناصر ، وخذلان من أهل الزمان المشؤوم القاصر ، وميل من الناس إلى الأطماع الحقيرة ، وانخداع بزخارف الأباطيل الفاضحة المبيرة ، حتى

تمكن منهم هذا الظالم الغشوم، وأوقعهم من الحزبي والوبال والهوان في أقصى التخوم، وشمل شره البرئ والغوري، والضعيف والقوي، والشجي والحلي، وتتبع بمعظم جيشه ومكره أهل بيت النبي، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية، ولا أجيب لهم بإجابة نافعة وأعية، حتى يدهم الظالم في البلاد، وفرق بين الآباء منهم والأولاد، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبدين، يتمنى الولد أن يحضر موت أبيه، والوالد أن يشاهد أحوال بنيهِ، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في ملكِ اليمن، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين... ولقد هَمَّ - أخزاه الله - بقصد الحرمين، وإخراج من فيه من ولد الحسين...^(٤٤).

(٥) أراد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين أن يستحث دواعي الفخر لدى المماليك القادمين من مصر لعله ينجح في تحويلها إلى رد إيجابي على استنجاهه بهم، وذلك من خلال التذكير بسلطان مصر قانصوه الغوري، وما لمصر من ذكر معروف في سيرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: "... فرجعنا ... إلى الله سبحانه وتعالى، وسأناه تعجيل الفرج، وإطفاء وهج المهج، على يد من هو أهل للمحامد المبرورة، والمقاصد المشهورة، في حياة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين، وما ذاك إلا لسرية صالحة، وتجارة رابحة، من السلطان الأكرم، والمستطيل الأعظم، قانصوه أظال الله بقاءه وتوفيقه، وأوضح إلى كل مقصود مبرور طريقه، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم، الذي جعله الله في مصر لخليقة إبراهيم، وخاتم أنبيائه محمد عليهما وعلى ألهما أفضل الصلاة والتسليم، ونرجو أن الله تعالى قد وفقكم، أيها الغزاة الأعلام، لمشابهة من قال فيهم الملك العلام : " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتبه من يشاء، والله واسع عليم..."^(٤٥).

(٦) جعل محرر هذه الوثيقة الشاهد من هذه السفارة وبيت القصيد في هذه الوثيقة الاستنجادية صريحاً واضحاً، إذ هو طلب المدد من الرجال والعدة لكي يستخلص الزيدية أرضهم من أيدي الدولة الطاهرية، ولم يترك المحرر الاحتمال قائماً في ألا يتضح المطلب الرئيس من السفارة والسفير، تقول الوثيقة: "... وهذا كتابنا يحتوي على التهنة السنية، بما فتح الله به من الفتوحات الهنية، والحث لكم على استدراك هذه البقية، من عثرة نبيكم الطاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغى وأعوانه وأنصاره، وقد بقيت لنا بلاد مجاورة لبلادنا، ونحن نفتقر إلى الإعانة منكم، بما أمكن من الرجال والعدة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله خير الناصرين..."^(٤٦).

الملاحق

- الملحق الأول : النص الكامل لوثيقة السفارة الأولى التي بعثها الإمام المتوكل يحيى

شرف الدين إلى السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَتَّقُوا نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (سورة الحشر)، أما بعد : حمداً لله حق حمده، وشهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خائف لوعيده، راج لوعده، والصلاة والسلام على سيدنا رسوله وعبده، وعلى الناحين بنحوه، والقاصدين بقصده، فهذا كتاب ممن هو لجميع أمة محمد كالوالد الشفيق، باعتبار النصيحة التي هي الدين، بنص سيد المرسلين، للخاص والعام والقريب والسحيق، كيف بمن يرجى بقبوله للنصيحة صلاح عامة المسلمين، وسداد كافة المؤمنين، ودفع البلية عن أهل بيت الأمين، وسكون واعتبتهم المحاصلة بما نالهم من التمهيص والتمحين، وحقق دمانهم ودماء الناس أجمعين، (وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (سورة الزارات)، لا جرم من كان القصد الحسن التصدير بهذا [ص: ٢٢] البلاغ الأثور إلى ملك اليمن، فأقول : ولست مزيكياً نفسي، من العيوب ومقارفة الذنوب، ولكن أفعل بالخير المشهور، والأثر المأثور، مرؤاً بالمعروف وإن لم تفعله كله، واجتنبوا المنكر وإن لم تجتنبوه كله (١٨)، واعتصم بالله من أن أكون من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وأسأله أن يكون لي حيث قصدي.

أيها الملك الذي تزيت له دنياه، فظن أن رضى مولاه في فعله ما يطابق هواه، وغره قول جهال أوليائه : إن الله أكرمه بالقهر لأعدائه، سلام عليك، والله وسيلتي إليك، في أن تتبع كلامي في كتابي هذا تتبع طالب للرشاد، مفرغ قلبه من الأحقاد، منصف من نفسه، ذاكر قرب حلول رسمه، وحيداً لا مؤنس له ولا وَزَرَ ولا مهرب ولا مفر إلا ما اكتسب من صدق اليقين، واستصحاب تقوى المتقين، ولا يصدنك أنفة المتكبر عن تأمل ما أتى به مُذَكِّرُهُ، فنصيحة في تحشين، خير من خديعة في لين، إياك أن تتبع هواك فيضلك عن سبيل الله، (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (سورة ص)، فإن دعاك من جلساتك عبيد هواهم إلى ما فيه بقاء التنازهم... (١٩) ف (قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (سورة الأنعام)، وتيقظ عن سبلة الغفلة قبل أن تُشْرَعِجَ للرحلة بموقف قول نحن إليه صاترون: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذًا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (سورة الأعراف)، وتفكر تفكر الذين إذا

علموا هم يعملون، وفي معنى تهديد (ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَنُلهِمَهُمُ الْأَمْلَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (سورة الحجر)، (نَسَارُ لَّهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة المؤمنون)، واطفأ تاجع نار الكبر بقوله تعالى: (نَسَارُ لَّهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة البقرة)، ولا يفرك قول الجليس والجليل: إن الذي أنت عليه جميل مقيل، (يَا وَتَلْتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (سورة الفرقان)، وقال - وهو أصدق القائلين- (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (سورة الزخرف)، وهيهات أن يأتي آمناً من يخط في ذنبه خط العشوى، ويضرب بأسباب الهوى إلى غير سبيل التقوى، (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) (سورة النازعات)، هذا وإن لا نلتبس منكم اتباعنا، والانقياد لمجرد قولنا، بل ندعوكم إلى تأمل آيات القرآن المجيد، الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (سورة فصلت)؛ ولهذا اسكترنا في رسالتنا من آيات القرآن للقطع بحفظه من الخلل والزيادة والنقصان، ولم نستكثر من إبراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى أولاد فاطمة البتول وسلم؛ لقلعة المتواتر منه والمتلقى بالقبول، واحتياج الأحاديث منه إلى معرفة الرجال العدل، والمعروف عنهم والمجهول، الذي لا يخط في إله العلماء الفحول، قال الله تعالى: (تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (سورة آل عمران)، فنحتاج إلى معرفة حقيقة العبادة، ولا تُعرف حقائقها إلا بالنظر في أوامر الباري ونواهيها، ثم تتبع أحوالك وأحوال من تعاديه وتناويه، فما وافق الشرع اتبع، وما بعد عنه احتزز منه وامتنع، عملاً بما ندب إليه قول من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (سورة الأعراف) .

وإذا كنت من أهل التقليد، لمن لم يعرف حكم الشرائع المفيد، فإن عليك فرضاً واجباً، وحتماً لازماً، وهو التزام من تركن على فضله ووعده، وعدم طمعه في الدنيا ولهعه، أن يتلو عليك نصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية، إذ لم يكونوا ليميلون عن علماء أهل البيت الطاهرين، ثم تنظر هل أنت في أفعالك وأقوالك أحق بالأمر أم من يتأهل لهذا الأمر من أهل البيت الجامع لشروط الزعامة، وأسباب الإمامة، التي هي كلها أمور دينية ومصالح كلية، وإن قلت: إنك لم تحارب من أهل البيت إلا من ظهر ظلمه وجار حكمه، فما سبيلك إلى من لم يظهر منه ذلك ولا سلك في مثل تلك المسالك، بل ما سلطانك على من دأبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتنزه عن المعاصي في صغره والكبر، ولا يفعل فعلاً إلا وقد نظر في موافقته

للشرع الشريف، ومطابقته للدين الحنيف، ثم انظر في فعالك، هل أنت تحري فيهما مطابقة ذلك؟ وانظر في أتباعك وأهل مذهبك في زمانك، هل معهم من الزهد والورع مثل أتباع خصومك حتى تأخذ لنفسك؟ فإن قلت: إني ما أجريت العدل في أهل البيت إلا لقيامه مقام الجاهل، فهلا قمت مع العادل منهم على الجائر حتى يستقيم على الحق وينحط الباطل، ثم انظر إلى أعوانك الذين يتعلقون بالأمر... (١٠٠) على مثل مال الذي أجريتهم عليه، من فعل المنكر والجور، والفعل بما لم يطابق الشرع المطهر، فيجري لك في هذا أن قصد نفسك وقصد من معك ليس إلا رقة الدنيا لا غير، وكثير من علماء مذهبك يقول: إنك غير جارٍ على شريعة الرسول .

هذه نبذة من أمور ظاهرة، يفهمها العالم وغير العالم، ولا تسأل في علماء مذهبك إلا من ليس يأخذه في الله لومة لائم، ويخاف عقاب ما أشارت إليه هذه الآيات التي قال الله فيها: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَبُوا بِهِ نَسْنَأً قَلِيلاً فَيَشْسُ مَا يَشْتَرُونَ) (سورة آل عمران)، (لِمَ تَقْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (سورة آل عمران)، (إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (سورة البقرة) ولا تقبل منهم من غير نظر منك لنفسك، وافتكار فيما ألقوه إليك من الإخبار، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: استفتت نفسك وإن أفتاك المفتون^(١٠١)، فإن مجرد التقليد ليس طريقاً إلى السلامة، ولا سبيلاً إلى الأمان عند الندامة، في هذه الأمور القطعية، والعوائد الكلية، بل لا بد فيها من البيان حتى [ص: ٤٢] يسكن الخاطر والجانان، وإلى هذا المعنى أشار الملك الرحمن: (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (سورة التوبة)، قال ابن عباس: ما عبدوهم، بل قالوا فاتبعوهم من غير برهان، وقال الله تعالى حاكياً عن المقلدين: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ) (سورة غافر)، (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ) (سورة الأحزاب)، وذم المقلدين حيث قال: (قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (سورة المائدة)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من أخذ دينه عن أفواه الرجال ذهب به الرجال من بين إلى شمال، وكان في دين الله على أعظم زوال^(١٠٢) ... (١٠٣)

وليت شعري هل بقي عند علماء مذهبك شرع الإمام كما هو نص الشافعي وغيره من العلماء الأعلام، فإن كان ذلك عندكم باقياً فهل تعتقد في نفسك أنك إمام المسلمين؟ فإن قلت: لا، فما طريقك إلي فعل أفعال الأئمة؟ وما سلطانك على من توليت عليهم من هذه الأمة؟ وكيف حالك

عند خالك؟ وإن قلت : نعم، قلت لهم: هلأ لها شروط معتبرة، وقواعد محررة، فلا بد أن يقولوا: نعم، فانظر هل قد أدركت شروطها وحقاتها؟ واستكملت أسبابها وطرائقها؟ فلا شك أن الإمام خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها هذا، وتعلم أنك في هذا الزمان قد جردت لعداوة أولاد نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وتفريقهم، وتبديدهم في البلدان، وقد جرى عليهم منك هذا التمحيص، وما خرجوا من الشام إلى اليمن إلا من مثل هذا البلاء والتنعيص، وليس عليهم في هذا حرج عند الله وعند من يعرف ويعقل سنن الأنبياء والصالحين، وإنما الحرج والمصيبة في الدين والدنيا على من تصدى لمناواتهم، وتعنى بمعاداتهم، وانظر الذين فعلوا مثل فعلك ممن قد تمكّن أكثر من تمكّنك من الأموية والعباسية وغيرهم من الملوك، هل كان لهم بذلك في دينهم وديناهم أثر صالح؟ أم قد أهلكوا أنفسهم، وبطل أمرهم واضمحل، إلا بكل سوء ذكرهم، ولم يعرف لأحد منهم باقية، وكل لسان عليهم بالذم ناعية، وأولاد علي عليه السلام لا يزال يتجدد أمرهم، ولا يبلى على وجه الأرض ذكرهم، وذلك مصداق قول جدهم صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبتاني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض^(٥٤)، قاله الله في نفسه، احذر أن يكون خصمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفريق أولاد بنته في البلاد، وقصدك لهم بالهلاك والفساد، فإن قلت: إنك لم تقصد إلا من كان منهم ظالماً لنفسه، وغير عامل لحلول رسمه، فلا ننكر أن منهم من قد كان كذلك، ولو لم يكن منهم ذلك ما وقعوا في المهالك، لكن مالك لا تعين الصالح منهم على الطالح حتى يكون من أهل النظر في المصالح، بل صرت تجعل همك في نكايه أفضلهم وخيارهم، وتقصد بالسوء علما بهم .

هذا ونحن ندعوك إلى أمور: إما إخلاصك إلى صاحب الإمامة، [ص: ٥٢] من أهل الرئاسة بالحق والزعامة، من أولاد بنت نبيك المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار، وعملك على رأيه في الإيراد والإصدار، حتى تكون من جملة أتباعه وأعوانه وأنصاره، فتفوز بخير الدنيا والآخرة، وتظفر بالسعادة التامة، ولا أراك لهذا فاعلاً، والأمر الثاني: أن تعين صاحب هذا الأمر من أولاد بنت نبيك بشئ من المال والبلاد، تقرب بذلك إلى رب العباد، وتقتصر على ما قد صار في يدك من الممالك، ولا تضيق على أولاد بنت نبيك المسالك، وتجمع شملهم في أوطانهم، وتقرب إلى الله باجتماعهم في أعطانهم^(٥٥)، والذي تخافه في اجتماعهم لا يضرك مع علم الله بقاء مملكتك، ولا ينفعك حذرک مع علم الله زوالها، (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ

يُخَيِّرُ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) (سورة يونس)، مع أن الموت قريب عاجل، والزوال من الدنيا - وإن مُلِكِتْ كلها - لا يشك فيه عاقل، فليست الدنيا تسوى هذا الاحتفال، ولا تقابل بهذا الالتفات إليها والإقبال، ولو كانت الدنيا عند الله تسوى جناح بعوضة ما سقى فيها كافر شرية ماء^(٦٦)، فلا تغتر بما ملكت فيها من الملك الزائل، والمال الطائل، فقد تملّكه كافرون في كثير من الأرض، ذات الطول والعرض، وكأنني بمن عندك من أهل مذهبنا- بل من بعض قرابتنا - يقول: لقد فعلت هذا الوجه بمن هو عنده، وذلك قول غير صحيح، صادر من غير نصيح، فإنه يعلم - وأنت تعلم - أنك غير فاعل لذلك، لأحد من أهل الممالك، ولعلك تعلم - ونحن نعلم - مما نعمنا على المشار إليه، عدم صلاحه لما عُوِّلَ فيه عليه، وهذا الوجه قد جعله الشيخ علي بن طاهر لحي والدنا الإمام المظهر بن محمد عليه السلام، فإنه أعانه على أخذ ذمار، واستصفى ما حولها من الأقطار، وكان عوناً له على أمره، حتى قيل أنه أخذ منه ولاية فيما يقدم فيه ويحجم، ويقطع ويجزم، فإن صح ذلك فهو إذاً من الموقّنين، السعداء في الدنيا والدين، ولعل أسرار زيارته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وروايته التي تُذكر قد أدركته حتى فاز بجزيل الثواب، ونجى من وبيل العذاب .

وإن لم يحصل منك لا هذا ولا هذا، فأمرُ قالت، وهو المهادنة لمن بقي من الزيدية في هذه البلاد الحقيرة، والقرى البسيطة، فإنها لا تزيد في ملكك إن علم الله بقاها، ولا تمنع من هلاكك إن أراد الله انتفاه، وقد صرت في أمهات بلاد اليمن، والله أعلم ما يكون في حرب من بقي، هل لك أم عليك، (كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (سورة يونس) .

وقد عجبنا من قصدك لنا بالعداوة من غير أن تعرفوا ما عندنا، ولا تتيقنوا قصدنا، وما تنقمون منا إلا أن قمنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآن ما قد جرى بيننا وبينكم ما يحرر الصدور، وقد طلبنا منكم أخذ هذه الأمور، والصلاح فيها لكم ولسائر الجمهور، هذا ولا بد أن يكون من عندكم من الناس في رسالتنا هذه على أنصاف:

- منهم من يقول: هذا رجل مغفل يطلب ما لا يتقدر، ويحاول ما لا يتصور .
- ومنهم من يقول: هذا يجرُّ العرض إلى [ص: ٦٢] نفسه .
- ومنهم من يقول غير ذلك .

فعليك أن تنظر في القول لا في القائل، فقد قال سبحانه في حق سيد البشر حين جرى في حقه مثل هذه الأقوال ممن كان في زمنه: (وَإِنْ يَكَ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) (سورة غافر)، (وَإِنْ يَكَ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) (سورة محمد) .

واعلم - هداك الله - أنه إذا حصل جمع شمل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على يدك كنت أسعد الملوك والسلاطين، وأرفع مشايخ الأولين والآخرين، فتعلم أن زيد بن علي وأبا حنيفة والشافعي ومالكاً رضي الله عنهم أجمعين على شريعة واحدة، وطريقة غير متباعدة، وقد كان من تلامذة زيد بن علي عليه السلام أبو حنيفة، ونال بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله ما هو معروف في السير، وكذلك نال الشافعي رحمه الله بسبب موالات الإمام يحيى بن عبدالله إلى حد الضرب بالسياط، فلا تظن أن بين المذهب الزيدي وبين مذاهب الفقهاء الأقدمين عداوة، وكلا منهم يصوب الآخر في اجتهاده، ولا يخطئه في مذهبه واعتقاده، وإنما فرق بينهم علماء السوء المتأخرون.

ولنختم كتابنا هذا بما ختم الله كتابه الكريم، حيث قال: (وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (سورة البقرة)، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم «(١٥٧)» .



- الملحق الثاني : النص الكامل لوثيقة السفارة الثانية التي بعثها الإمام المتوكل يحيى شرف الدين مستنجداً بالأمير المملوكي حسين الكردي قائد الحملة المملوكية إلى الهند :

« بسم الله الرحمن الرحيم، نعمة سبقت وشملت، ومنحة تمت وكملت، بلغت من لدن حكيم خبير، على أهل بيت نبيه البشير النذير، أجزاها على يد ملك السيف الأمير، الهمام الخطير، أمير الأمراء الإسلامية، مفرج كرب العترة الطاهرة الزكية، الناقم بثأر الحسين من الفرقة الغوية، الظالمة العامرية، المتحلي من أجل ذلك بكل زين، المتخلي عن كل شين، الوافي بحق سيد الشهداء الحسين، الأمير الجليل النبيل حسين، حياه الله من السلام بأسنائه، ومن الإكرام بأزكاه وأنهائه، والله المسؤول أن يوفقنا وإياه لإصابة مراده، وهداية عبادته، وإجراء أحكام شريعته الطاهرة في بلاده، وتطهيرها من آثار الجائر وتوويرها من ظلمات جرأته وعناده، وبعد : فإن كتابنا هذا لتعريف خاطر الأمير، وفقه الملك القدير، بأننا لم نزل إلى الله مبتهلين، ولما لديه من الفرج منتظرين، وبالتجرد لما بدت من عدو الله الجائر عامر، والقيام بالدعاء إلى دفاعه وجهاده امتثالاً لأوامر الله الملك القادر، ولكن منع من ذلك عدم المعين والناصر، وخذلان من أهل الزمان المشؤم القاصر، وميل من الناس إلى الأطماع الحقيرة، وانخداع بزخارف الأباطيل الفاضحة المبيرة، حتى تمكن منهم هذا الظالم الغشوم، وأوقعهم من الخزي والوبال والهوان في أقصى التخوم، وشمل شره البرئ

والغوي، والضعيف والقوي، والشجي والخلي، وتنبع بمعظم جيشه ومكره أهل بيت النبي، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية، ولا أجيب لهم بإجابة نافعة وأعية، حتى بددهم الظالم في البلاد، وفرق بين الآباء منهم والأولاد، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبددين، يتمنى الولد أن يحضر موت أبيه، والوالد أن يشاهد أحوال بنيهِ، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في ملكِ البمين، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين، وأعانه على ذلك رجل منا أهل البيت، ادعى ما ليس له بحق، فأنكر عليه الإمام الوشلي، فلم يزل صاحبنا يعضد هذا الطاغية، وينصر فرقته الباغية، حتى تمكن من الإمام الوشلي، محمد بن علي، ولم يعذرنا أهل زماننا عن القيام في مقامه الجلي، ولقد همّ - أخزاه الله - بقصد الحرمين، وإخراج من فيه من ولد الحسين، فرجعنا - مع بذل ما بقي معنا من جهد في دفاع مجهود المذاكرة له كثير من الحدود - إلى الله سبحانه وتعالى، وسألناه تعجيل الفرج، وإطفاء وهج المهج، على يد من هو أهل للمحامد المبرورة، والمقاصد المشهورة، في حياة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين، وما ذاك إلا لسرية صالحة، وتجارة رابحة، من السلطان الأكرم، والمستطيل الأعظم، قانصوه أطل الله بقاءه وتوفيقه، وأوضح إلى كل مقصود مرور طريقه، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم، الذي جعله الله في مصر لخليله إبراهيم، وخاتم أنبيائه محمد عليهما وعلى آلهما أفضل الصلاة والتسليم، ونرجو أن الله تعالى قد وفقكم، أيها الغزاة الأعلام، لمشابهة من قال فيهم الملك العلام: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة) .

وقد رجحنا إرسال هذه الرسالة بيد صاحبنا الفقيه العالم العامل صلاح الدين، بقية المجاهدين صلاح بن سراج الله، كتب الله هدايته، وأحسن رعايته، وهذا كتابنا يحتوي على التهنئة السننية، بما فتح الله به من الفتوحات الهنية، والحث لكم على استدراك هذه البقية، من عترة نبيكم الطاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغى وأعوانه وأنصاره، وقد بقيت لنا بلاد مجاورة لبلاد، ونحن نفتقر إلى الإعانة منكم، بما أمكن من الرجال والعدة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله خير الناصرين، والفقيه الصالح يحق لكم ما لا يتسع له الكتاب، ولا يقوم به إلا المشافهة والمحطاب، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وسلم « (١٥٨) .

الهوامش

- ١- أديب آل الإمام المتوكل يحيى شرف الدين في عصره، ومؤرخ أخبارهم، كوكباني المولد والنشأة، أخذ عن مشاهير علماء اليمن في زمنه، وكانت له مطارحات ومناقشات ومساجلات مع عدد من علماء وأدباء اليمن، وأشهرهم إبراهيم بن الإمام الشهير محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وقد ترك ديواني شعر، أحدهما عامي والآخر بالفصحى، كما اشتهر كتابه المشار إليه (المواهب السنية)، انظر زيارة: محمد بن محمد بن يحيى (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، نبيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ودار العودة، بيروت، (د، ت)، ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٦، الوجه، عبدالسلام عباس، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣٢٢، ٣٢٣.
- ٢- قامت هذه الدولة سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م)، وحكمها الملكان الأخوان الظاهر الأول عامر بن طاهر والمجاهد علي بن طاهر مدة ٢٥ سنة، ثم حكمها الملك المنصور عبدالوهاب بن داود مدة ١١ عاماً، وامتدت فترة حكم الملك الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب إلى حوالي ٢٩ عاماً، وبقي الأمراء الظاهريون في نزاع دائم حتى انتهت أمرهم بعد وفاة الملك الظاهر الثاني عامر بعشرين سنة تقريباً، أي أن ظهورها استمر حوالي ٨٥ عاماً، فتكون مدة حكم الملك الظاهر عامر ثلث المدة تماماً، بل تزيد قليلاً.
- ٣- للاطلاع على جهود هذا السلطان وإجازاته العمرانية والعسكرية والعلمية بنظر المدخلي، د. محمد ربيع هادي عمير، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الظاهري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ٤- ابن الدبيع، أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)، قررة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكوخ، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، (د، ن)، ص ٤٣١ - ٤٤٦، بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق عبدالله محمد الحيشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩م، ص ١٨٥-١٩٨، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق د. يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٤١-٢٥٧، الكندي، تاريخ حضرموت السياسي [العدة المفيدة لتواريخ قديمة وحديثة]، تحقيق عبدالله الحيشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج ١ ص ١٥٤، محمد ربيع المدخلي، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية، ص ٧٦ - ٨٨.
- ٥- يحيى بن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٦١٨ - ٦٢٥، الكيسي، محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٢٦، ١٢٧، أحمد، د. محمد عبدالعال، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٣٢٣، ٣٢٤، زيارة، محمد بن محمد بن يحيى

(ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، أئمة اليمن، مطبعة النصر الناصرية، تعز، ١٩٥٢م، ص ٣٦٠، ابن الديبع، قره العين، ص ٤٤٢، ٤٤٥، الفضل المزيد، ص ٢٣٤ - ٢٤٧ .

٦- يَافِع اسم لقبيلة حِمْيَرِيَّة كبيرة، وأطلق اسمها على المنطقة التي يسكنها أفرادها، وتقع منازلها بين الضَّلَع والْحِج، وهي أرض جبلية صخرية شديدة الوعورة، ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢٢٠٠ قدم، ويبلغ ارتفاع بعض جبالها إلى ٢٥٠٠ قدم، وهي أعلى المناطق في المحافظات الجنوبية من اليمن وأكثرها ارتفاعاً، ويقدر ما أسهمت هذه الطبيعة الصعبة جداً في عزلة أهلها أسهمت أيضاً في إكسابهم قدراً عالياً من الشجاعة والإقدام، وجعلتهم مغرمين بالسفر والهجرة إلى نواح يمنية مجاورة أو أقطار أخرى، بامخرمة، الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)، النسبة إلى المواضع والبلدان، نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم (٢٥٦٩)، ق ٤٠٢، الحجري، محمد بن أحمد (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكرع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج ٤ ص ٧٧٣، ٧٧٤، المقحفي، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢ ص ١٨٩٤ - ١٨٩٦ .

٧- يَبْحَان حَقْلٌ أُنْزِي وَأَسْعُ فِي قَاعٍ فَسِيحٍ يَمْتَدُّ بِاسْتِطَالَةٍ ابْتِدَاءً مِنْ سَفْحِ الْجِبَالِ الْوَارِقَةِ شِمَالِ مَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ إِلَى أَطْرَافِ رَمْلَةِ السَّبْعَيْنِ الَّتِي تُعَدُّ أَحَدَ كَبِيرِ أَقْصَامِ صَحْرَاءِ الرَّبِيعِ الْخَالِيِّ، وَيَبْحَانُ أَحَدَ مَنَازِلِ قَبِيلَةِ مُرَادِ الْمُذْجَبِيَّةِ الشَّهِيرَةِ، الَّتِي يَنْسَبُ إِلَيْهَا قَاتِلُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرِيمِ اللَّهِ وَجْهَةِ الْخَارِجِيِّ الشَّهِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمِ الْمُرَادِيِّ، وَأَرْضُ يَبْحَانَ زُرَاعِيَّةٌ خَصْبَةٌ، غَنِيَّةٌ بِالْمِيَاءِ الْمُنْحَدَةِ إِلَيْهَا مِنْ جِبَالِ الْبَيْضَاءِ، وَمِيَاهُهَا الْجَوْفِيَّةُ مُتَوَافِرَةٌ عَلَى أَعْمَاقٍ قَرِيبَةٍ، لِذَلِكَ تَكْتَرُّ فِيهَا مَزْرُوعَاتُ الْحَبُوبِ وَبَعْضُ الْفَوَاكِهِ وَالْحَضْرَوَاتِ، وَتَكْتَرُّ فِيهَا الْمَنَاحِلُ، وَيَبْحَانُ تَقَعُ عَلَى أَطْلَالِ مَدِينَةٍ قَدَّمَ الْأَثَرِيَّةُ الْقَدِيمَةَ، الَّتِي كَانَتْ عَاصِمَةَ لِدَوْلَةِ قَتَبَانَ الْيَمَنِ فِي فِتْرَةٍ مَا قَبْلَ الْمِيلَادِ، وَهِيَ تُشَكِّلُ وَاحِدَةً مِنْ مَدِيرِيَّاتِ مَحَافِظَةِ شِبْوَةَ الْمُنَاحِمَةِ لَصَحْرَاءِ الرَّبِيعِ الْخَالِيِّ، بِامْخَرْمَةِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ق ٧٥، الْحَجْرِيُّ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ج ١ ص ١٣٢، ١٣٣، الْمُقْحَفِيُّ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ج ١ ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

٨- تناولت المصادر والمراجع الأئمة أخبار هذا الإمام، ابن داغر، صلاح بن داغر المرهبي (ت في القرن العاشر الهجري)، سيرة الإمام يحيى شرف الدين، صورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة زيد الحوثي، صنعاء، ق ٤ وما بعدها، زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٦٩ وما بعدها، انحاء المهتدين بذكر الأئمة المجتدين، مطبعة المقام الشريف، صنعاء، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، ص ٧٤، خلاصة المتون في أنباء ونبل اليمن الميمون، تحقيق أحمد محمد زيارة، مركز التراث والبحوث اليمني، ساري، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٥٥ وما بعدها، شرف الدين، الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين (ت ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م)، المواهب السنية بما من به الله تعالى من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية، مخطوط، صورة عن نسخة إبراهيم عبدالكريم شرف الدين، كوكبان، ص ١٦ وما بعدها، شرف الدين، محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)، السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية، (د، ت، ن

١٠ ص ١ وما بعدها، المؤيدي، داود بن الهادي بن أحمد (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)، ذيل البسامة، (ملحق بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ١٣٩٠، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٣٥ وما بعدها.

٩- حمل الاسمين معاً : يحيى وشرف الدين، أي أن شرف الدين ليس لقباً له، وقد اشتهر باسمه شرف الدين أكثر من شهرته باسم يحيى، انظر مصادر سيرته .

١٠- هو الإمام الناصر الحسن بن عزالدين بن الحسن (ت ٩٢٩هـ/١٥٢٣م)، أعلن دعوته وإمامته فور وفاة أبيه، وبعث رسائله إلى كثير من الجهات، وقيل أمير صعدة محمد بن الحسين الحمزي البهال إمامته، وأقام الدعوة له على منابرها بالرغم من أنه كان معارضاً لأبيه، ورفض إمامته عدد من كبار أهل بيته، وقد وقعت المناظرة بينه وبين معارضة الإمام المنصور بالله محمد بن علي الوُثَلِي السراجي في السود حول مسوغات الخروج والتعارض، ولم يُسَلِّمْ أحد منهما لصاحبه، ولم يذكر في عهد الإمام الناصر بعد ذلك ما يشتهر سوى تحالفه مع الشريف محمد بن عبدالله الشوبع - أحد أشرف المنطقة الشمالية الشرقية لليمن - ضد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م)، انظر زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٥٧، تحاف المهتدين، ص ٧٣، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٤٢، الكبسي، اللطائف السنية، ص ١١٧، المؤيدي، ذيل البسامة، ص ١٣٧٤ وما بعدها، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٢١ وما بعدها .

١١- أحد أشهر معاقل العلم والحضون الشهيرة في تاريخ اليمن، به كهوف عديدة وعميقة، يقع في قمة جبل إلى الشمال من مدينة حجة، ويبعد عنها بمسافة ١٥ كيلومتراً تقريباً، وتنتشر على جوانبه الكثير من المدرجات الزراعية، وهو اليوم مركز إداري من مديرية مَبِين بمحافظة حجة، الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج ٣ ص ٥٦٧، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ١ ص ٩٧٥، ٩٧٥ .

١٢- زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٧٢، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٥٨، شرف الدين، المواهب السنية، ص ١٧، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ١٩، ٢١، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٣٥ .

١٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦- ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٤٢، خطاب، عبدالعظيم، قانصوه الغوري ونهاية الدولة الملوكية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م، ص ٢٠٩ .

١٤- زيارة، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٧٦، شرف الدين، المواهب السنية، ص ٣٦، أئمة اليمن، ص ٣٨٨ .

١٥- الفرقة الأخرى هي الشيعة الإمامية، وكل فرق الشيعة - وإن كَثُرَتْ - ما هي إلا من فروع هاتين الفرقتين الرئيسيتين (الزيدية والإمامية)، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج ٤ ص ٢١١، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،

ج ١ ص ٨٨، البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ/٣٧٠م)، الفرق بين الفرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٣٨.

١٦- هو الإمام المنصور بالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد الوشلي السراجي الحنسي (ت ٩١٠هـ/١٥٠٤م)، أحد أعلام الزيدية، علمياً وسياسياً وعسكرياً، كان معروفاً بالفضل وسعة العلم والشجاعة والإقدام، لهذا كان رأس حرية الزيدية في صراعها المرير مع الدولة الطاهرية على عهد السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب قبل تمكنه من اكتساح مناطق نفوذ الزيدية، وكان الإمام المنصور محمد الوشلي يستخدم مهارته العالية في البلاغة وجودة نظم الشعر في تحريض جموع الزيدية وأتعتها المتصارعين على منصب الإمامة ليقوموا بمواجهة خطر الطاهريين الداهم، وقد وقع في أسر السلطان الظاهري الثاني فألقاه في السجن حتى توفي فيه سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م)، الزحيف، محمد بن علي بن يونس (ت ٩١٦هـ/١٥١٠م)، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخيار، تحقيق عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عُثَان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ٣ ص ١٢٦٩، زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٥٨-٣٦٦، الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص ٩٦٩.

١٧- المقصود بالعدل والظلم في هذا البيت - في تقديري - ليس المدلول البدهي لهاتين اللفظتين الذي يتبادر إلى ذهن القارئ، بل فيها تضمين لاصطلاح عقائدي، فالقائل هنا يشير إلى العقيدة الزيدية الاعتزالية، الشهيرة بـ(عقيدة العدل والتوحيد)، والظلم المشار إليه فيه تلميح إلى وظف الزيدية للعقيدة الجبرية التي اتهموا بها أهل السنة في اليمن.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

١٨- إسماعيل بن محمد، سبط اللؤلؤ في شعر الآل، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، تحت رقم (١٨٤١ أدب)، ص ٣٣٢.

١٩- ذلك أن الزيدية - كغيرهم من القائلين بالعقيدة الاعتزالية - يقولون بأن الإنسان يخلق أفعاله بنفسه، ومن لا يقول بقرولهم - في نظرهم - فهو يضيف كل فعل إلى الله سبحانه وتعالى.

٢٠- المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٢١- المصدر السابق، ص ٣٣٥.

٢٢- البرهبي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي (ت ٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص ١١٣.

٢٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٣.

٢٤- المصدر السابق، ص ٢٤.

٢٥- المصدر السابق، ص ٢٦.

٢٧-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ج ٧ ص ٥٥٢، الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن بن أحمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، مقاتل الطالبين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٢٢٢-٣١٥ .

٢٨-الطبري، المصدر السابق، ج ٨ ص ٢٣٥، الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٤٦٥-٤٧٠، ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ١٥٦، ١٥٧ .

٢٩-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ .

٣٠-السلمان، محمد حميد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة من ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م، ص ٢٨١ .

٣١-ابن الدبيع، بغية المستفيد، ص ٣٠٤، ٣٠٥، خطاب، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٤ .

٣٢-السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص ٢٨٢، سليم، محمود رزق، الأشرف قانصوه الغوري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د، ت)، ص ١١٨ .

٣٣-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦-٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٤٢، خطاب، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٩ .

٣٤- يبدو أن البطانة السنية كان لها الدور الكبير في إيفار صدر السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري على الحملة التي بلغت أواخرها عندما وصلت إلى جازان، فقد أرسل أميرها -حسين الكردي- رسلاً منه إليه يخبره ببلوغ الحملة جازان، وأن وجهتها الهند بغرض جهاد البرتغاليين، ويستحثه إلى بعث معونته المالية والعينية، انظر شهاب، محمد صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب البيضي، عدن، ١٩٧٧م، ١٤٧، شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الطبعة الخامسة، ص ٢٣٣، ٢٣٤، ويحكى المؤرخ بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٠٦؛ أن السلطان انتزع للخبر وأعرض عن الجواب، وإذا أخذنا بهذه المعلومة فإنها ستكون التفسير القوي لإرجاء الأمير حسين الكردي الرد على الإمام شرف الدين، وكأنه لم يكن قد استوثق بعد من موقف البلاط الطاهري من حملته .

- ٣٥- سالم، د. سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م، ص ٩٩ .
- ٣٦- ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٦٠، الفضل المزيد، ص ٣٥٨ . بافقيه، تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، ص ١٠٦، ١٠٧، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٤٢، ٦٤٣، خطاب، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٥، ٢٠٦ .
- ٣٧- بافقيه، المصدر السابق، ص ١١٤، يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ص ٦٤٤، ٦٤٥، ابن الديبع، المصدر السابق، ص ٤٦٤، ٤٦٥، الفضل المزيد، ص ٣٦١ .
- ٣٨- المصدر السابق، ص ٣٦١، ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٦٤، النهروالي، محمد بن أحمد (ت. ١٥٨٢/٩٩٠م)، البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧/١٩٨٦م، ص ٢١ .
- ٣٩- تصغير تربة، قرية كبيرة إلى الجنوب الشرقي من مدينة زيد، وليست بعيدة عنها، وهي اليوم إحدى مراكز مديرية زيد الإدارية بمحافظة الحديدة، المحففي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ١، ٢٢٧، ٢٢٨ .
- ٤٠- شيبان، أحمد سالم، الوجود المملوكي في اليمن ٩٢١-٩٤٥هـ/١٥١٥-١٥٣٨م، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الطبعة الأولى، (د. ت.)، ص ١٦٥، بافقيه، تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، ص ١٢٥، النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، ص ٢٩، ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٦٨، الفضل المزيد، ص ٣٦٩ .
- ٤١- المصدر السابق، ص ٣٧٠، ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٦٩، ٤٧٠، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٥١، شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٢٣٥ . Smith, G. Rex, The Tahirid Sultan of the Yemen, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997, p141
- ٤٢- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٧ .
- ٤٣- المصدر السابق، والصفحة نفسها .
- ٤٤- المصدر السابق، ص ٢٦ .
- ٤٥- المصدر السابق، ص ٢٧ .
- ٤٦- المصدر السابق، والصفحة نفسها .
- ٤٧- المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٨ .

٤٨-الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عناية إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، أمريكا، (د، ت)، ج ١ ص ٢٤٧ - برقم (٥٥٢٢).

٤٩-في أصل المخطوطة هنا كلمة لم أستطع تبيئتها فتركت مكانها .

٥٠-وهنا أيضاً كلمة لم أستطع تبيئتها فتركت مكانها .

٥١-الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ١ ص ١٠٣٨ - برقم (٢٩٣٣٩)، أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ/٩٥١م)، حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الفكر، بيروت، (د، ت)، ج ٩ ص ٤٤، ونحوه البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، كتاب التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج ١ ص ١٤٥، برقم (٤٣٢).

٥٢-لم أجد هنا الحديث - لا نصاً ولا معنى - في أي من كتب الحديث المطبوعة المشهورة التي توافرت لي.

٥٣-هنا أيضاً كلمة لم أستطع تبيئتها فتركت مكانها .

٥٤-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ/٩٨٩م)، جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، ودار الأعلام، عثان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٨٢٥، برقم (٣٧٨٨)، وصحاحه الألباني، محمد ناصر الدين، منسوخ سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٣ ص ٢٧٧ .

٥٥-أعطان، جمع عَطِن، والعطن للإبل كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض، انظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت ٧١١هـ/١٣٣١م)، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د، ت)، ج ٧ ص ٤٤٢، وأراد الإمام شرف الدين هنا معناها المجازي لا الحقيقي.

٥٦-الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ٢ ص ٣٠٥، برقم (٦٨٦)، الترمذي، جامع الترمذي، ص ٥٢٠، برقم (٢٣٢٠)، أبو نعيم، حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، ج ٣ ص ٢٥٣ .

٥٧-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢١ - ٢٦، وأشار إليه شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ باقتضاب.

٥٨-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ - ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩ .

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
• أحمد: محمد عبدالعال (الدكتور)
٢. بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ م .
• إسماعيل بن محمد:
٣. سبط اللؤلؤ في شعر الأمل، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، تحت رقم (١٨٤١ أدب) .
• الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)
٤. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
• الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسن بن أحمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)
٥. مقاتل الطالبين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
• الألباني، محمد ناصر الدين
٦. صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
• البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)
٨. كتاب التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
• البرهبي: عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي (ت ٤٩٠هـ/ ١٤٩٨م)
٩. طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبيشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م
• البغدادي: عبدالقاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)
١٠. الفرق بين الفرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .
• الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سنان (ت ٢٧٩هـ/ ٩٨٩م)
١١. جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، ودار الأعلام، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .
• الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)
١٢. رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
• الحجري: محمد بن أحمد (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)
١٣. مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكرع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .
• خطاب: عبدالعظيم
١٤. قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م
• داعر: صلاح بن داعر المرهبي (ت في القرن العاشر الهجري)
١٥. سيرة الإمام يحيى شرف الدين، صورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة زيد الحوثي، صنعاء .
• ابن الديبع: أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)
١٦. بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق عبدالله محمد الحبيشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩م .
١٧. الفضل الأزهد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق د. يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٨٣م .
١٨. قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكرع، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .
(د. ن.)

- زيارة: محمد بن محمد بن يحيى (ت. ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)
- ١٩. أمة اليمن، مطبعة النصر الناصرية، تعز، ١٩٥٢م.
- ٢٠. انحف المهتمدين بذكر الأئمة المجددين، مطبعة المقام الشريف، صنعاء، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م.
- ٢١. خلاصة المتون في أنباء وتبلاؤ اليمن الميمون، تحقيق أحمد محمد زيارة، مركز التراث والبحوث اليمنى، ساري، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الزحيف: محمد بن علي بن يونس المعروف بابن فند (ت. ٩١٦هـ/ ١٥١٠م)
- ٢٢. مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخيار ويسمى (اللواحق الندية بالحدائق الوردية)، تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- سالم: سيد مصطفى (الدكتور)
- ٢٣. الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
- السلطان: محمد حميد
- ٢٤. الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة من ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م.
- سليم: محمود رزق
- ٢٥. الأشرف قانصوه الغوري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د، ت).
- شرف الدين: أحمد حسين
- ٢٦. اليمن عبر التاريخ، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الخاصة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- شرف الدين: الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين (ت. ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م)
- ٢٧. المواهب السنية مما سماه به الله تعالى من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية، مخطوط، صورة عن نسخة إبراهيم عبدالكريم شرف الدين، كوكبان.
- شرف الدين: محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم (ت. ٨٥٠هـ/ ١٦٧٤م)
- ٢٨. سيرة الإمام شرف الدين المسمى [السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية]، (د، ت، ن).
- شهاب: حسن صالح
- ٢٩. أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٧م.
- شيبان: أحمد سالم
- ٣٠. الوجود المملوكي في اليمن ٩٢١-٩٤٥هـ/ ١٥١٥-١٥٣٨م، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الطبعة الأولى، (د، ت).
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت. ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)
- ٣١. تاريخ الأمم والملوك، تحقّق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت. ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)
- ٣٢. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
- باقيه: محمد بن عمر الطبيب
- ٣٣. تاريخ الشهر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحيشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- الكبسي: محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)
٣٤. اللطائف السنية في أخبار الممالك البينية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الكندي: سالم بن محمد (ت ١٣١٠هـ/١٨٩٢م)
٣٥. تاريخ حضرموت السياسي [العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة]، تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- بامخرمة: الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م)
٣٦. النسبة إلى المواضع والبلدان، نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم ٢٥٦٩.
- المدخلي: محمد ربيع هادي عمير (الدكتور)
٣٧. الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- المتحفي: إبراهيم أحمد
٣٨. معجم البلدان والقبايل البينية، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت ٧١١هـ/١٣٣١م)
٣٩. لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د، ت).
- المؤيدي: داود بن الهادي بن أحمد (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)
٤٠. ذيل البسامة، (ملحق بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام الوجبة وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- أبو نعيم: أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ/٩٥١م)
٤١. حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الفكر، بيروت، (د، ت).
- النهروالي: محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م)
٤٢. البرق البهائي في الفتح العثماني، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م)
٤٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عناية إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، أمريكا، (د، ت)
- الوجبة: عبدالسلام عباس
٤٤. أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م
- يحيى بن الحسين: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ/١٦٨٨م)
٤٥. غاية الأمان في أخبار القطر البهائي، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.